

"

"

-

/

**2013/2/4**

. . .

.

/

**ishindi@qou.edu :**

/

**mshaheen@qou.edu :**

**2012- 1434**

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح وجهة النظر الإسلامية في العمل التطوعي، حيث انبنت من ستة مباحث، ثم النتائج والتوصيات، وقد خصّصَ المبحثُ الأولُ لبيان مفهوم العمل التطوعي، والثاني لمكانة العمل التطوعي في نصوص القرآن والسنة، والثالث لأهمية العمل التطوعي في الإسلام، والرابع لمجالات العمل التطوعي في الإسلام، والخامس لدور المؤسسات التربوية في نشر ثقافة التطوع في المجتمع الإسلامي، والسادس لعرض نماذج تطبيقية للعمل التطوعي في الإسلام.

وقد خلصت إلى النتائج الأساسية التالية:

- 1- إن العمل التطوعي يعتبر أحد ركائز بناء وتنمية المجتمع الإسلامي.
- 2- يشكل العمل التطوعي مظهراً من مظاهر التكافل، والتعاون، والرّحمة، والإيثار، والمبادرة، وإخلاص النية لله -تعالى-، وإن ممارسته تنعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع على حد سواء.
- 3- إن العمل التطوعي في الإسلام مفتوح النهاية، ولا يتوقف عند مجال محدّد، بل إنه يشمل عدة مجالات تخص الفرد، والمجتمع، والأمة بكاملها.
- 4- إن المؤسسات التربوية المختلفة تلعب الدورَ الأهمَّ في تعميق ثقافة التطوع والمبادرة إلى تنشيطه في المجتمع.
- 5- هناك العديد من المواقف التطوعية التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مبادراً لها، وكذلك كان الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم-.

وقد ضُمّنت الدراسة بعدد من التوصيات، كان من أبرزها:

- 1- أن تبادر كافة المؤسسات التربوية على اختلاف مجالاتها إلى تعميم ثقافة التطوع عبر المناهج الدراسية، والأنشطة الطلابية والمجتمعية، ووسائل الإعلام، والأسرة.
- 2- العمل على تشجيع المؤسسات الاجتماعية المختلفة على استقطاب الشباب في برامجها التطوعية.
- 3- العمل على تنظيم الورش والمؤتمرات واللقاءات الشبابية، التي تُعزّز من حشد طاقات الشباب ورعاية إبداعاتهم، وتوجيهها توجيهاً مثمراً وبنّاءاً لخدمة المجتمع.

## المقدمة

يواجه الناس في كثير من المجتمعات تحديات جمّة، ابتداءً من حاجات الأسرة، مروراً بقضايا المجتمع، وانتهاءً بقضايا الأمة، وهذه التحديات لا يمكن مواجهتها إلا من خلال تصميم الأفراد وإصرارهم على بذل أقصى طاقاتهم من أجل تحقيق العيش الكريم، ومن أجل تلك الغاية فقد هيا الله - سبحانه وتعالى - الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وأمدّه بالقدرات التي تمكّنه من تسخير كل الإمكانيات المتاحة لتحقيق الحياة الحرّة الكريمة له وللآخرين، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال استعداد الفرد لتحمل المسؤولية، والإدراك، والوعي، والإرادة القوية، والتصميم، والعزيمة، والسعي بأقصى ما يستطيع من أجل خدمة نفسه ومجتمعه (الصفار، 2007).

ومن المداخل الرئيسية لخدمة الأفراد والجماعات، العمل التطوعي، الذي يشكل ركيزة أساسية في بناء المجتمع، وتقوية الترابط والتماسك الاجتماعي بين الأفراد، كونه ممارسة إنسانية بالدرجة الأولى، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالعمل الخير الصالح عند جميع الأجيال البشرية، منذ الخليقة وحتى يومنا هذا، وإن كان هناك اختلاف فهو مقتصر على حجمه، وشكله، واتجاهاته، ودوافعه من مجتمع لآخر (فرحات، 2008).

وفي عصرنا هذا، اعتُبر العمل التطوعي معياراً لمدى رقيّ المجتمع، ووعي أفرادِهِ، وإنسانيته، والتي تُظهر الحرص على رعاية المصالح العامة والخاصة، والشعور بمعاناة الآخرين، وحاجاتهم، ومشكلاتهم، لأجل ذلك انتشر العمل التطوعي في جميع أنحاء المعمورة. ومع بداية الثمانينات بدأت الدول الغربية بتوظيف المنظمات التطوعية الخاصة للعمل في مشاريع تنمية مجتمعات الدول النامية، وفي عام 1970م حدّدت الجمعية العامة للأمم المتحدة برنامجاً للمتطوعين كجهاز مساعد للأمم المتحدة، ليكون مشروعاً تطوعياً متعدد الأطراف، لتشجيع المساهمات التطوعية في مجالات التنمية، التي تركز على حاجات المجتمع وقضاياها (حسن، 2001).

وفي البلاد العربية والإسلامية، كانت الدعوات المستمدة من الديانات السماوية والداعية لإصلاح المجتمع، والخروج من البعد الإقليمي المحصور إلى البعد الدولي الإنساني، تستأثر باهتمام قادة المجتمع ومؤسساته المختلفة، ورغم ما تبنته المؤسسات التطوعية ومؤسسات الأمم المتحدة وقراراتها، إلا أن الإسلام كان سباقاً في دعوته إلى التطوع، والتكافل، والتعاون، وتقديم الدعم والمساندة للآخرين، باعتبارها أعمالاً تقرّب الإنسان من الله - سبحانه وتعالى - (الخطيب، 2006).

فثقافة العمل التطوعي بما تشمله من أبعاد وقيم وممارسات، تعدُّ أحد ركائز التنمية الشاملة في الإسلام، وهو عمل خيري يرتبط بشريعتنا السّماء ارتباطاً وثيقاً، يستمد جذوره من العقيدة الراسخة في قلوب المسلمين، والنابعة من إيمانهم بالله واليوم الآخر، والتي تدفعهم إلى التسابق لفعل الخير،

والتعاون، ومساعدة الآخرين، استجابةً لقول الله -تعالى-: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة/2]، وقوله -تعالى-: " وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ [البقرة/158]، وقوله -تعالى-: " فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ [البقرة: 184].

كذلك فقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسلمين إلى العمل التطوعي، وكان -صلى الله عليه وسلم- قدوةً حسنة لهم في هذا المجال.

وقد دعا الإسلام إلى نشر ثقافة التطوع من خلال أبواب عديدة، تشمل التعاون، والتكافل، والرعاية الاجتماعية، والبر، والرحمة، والإيثار، والعدل، والإحسان، وإصلاح ذات البين، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وغير ذلك من الأعمال، التي ترتبط بمبادئ ديننا الإسلامي الحنيف (الأنصاري، 2012).

ولذلك فإن القيم الدينية المتجذرة في المجتمع العربي الإسلامي أسهمت في تعميق روح العمل التطوعي في المجتمعات العربية بشكل كبير، فأصبح له مؤسسات عديدة، وصار يُطلق على هذه المؤسسات "المؤسسات الأهلية"، والتي تقوم بدور كبير في المجالات الاجتماعية والتنمية (عاطف، 2009).

وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يزال ممثلاً للدين الإسلامي الحنيف، وهو أعظم من تحدت في هذا الموضوع وطبقه في حياته، وقد جاءت الأحاديث النبوية مُعظمةً للعمل التطوعي باعتباره مما يُقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- وهو الذي يُجازي عليه، مصداقاً لقول الله -تعالى-: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة/245]. وقوله -تعالى-: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ [الحديد/11] (العيد، 2001).

ويعتمد العمل التطوعي لتحقيق نجاحه على عدة عوامل، ومن أهم هذه العوامل المورد البشري، الذي يشكل ضماناً أساسيةً للنجاح، والتقدم، والتنمية، إذا ما توفرت لديه الحماسة، والإدراك للبعد الإنساني الديني، فهو يمثل فضاءً رحباً لجميع أفراد المجتمع، لتأكيد انتمائهم وولائهم لمجتمعاتهم، كما أنه يسهم في صقل مهاراتهم، وبناء قدراتهم. وعماد المورد البشري الممارس للعمل التطوعي هم فئة الشباب، فهم يمثلون الفئة الفتية المتحمسة، والقادرة على دعم العمل التطوعي وممارسته، خصوصاً وأنه يساعدهم في تراكم خبراتهم، وقدراتهم، ومهاراتهم، من أجل الإنطلاق والاندماج الفعّال في حياتهم العملية، وقضايا مجتمعاتهم (عبد السلام، 2010).

وقد أكد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أن خير الناس من تطوع لخدمة الآخرين، حيث قال -صلى الله عليه وسلم-: " خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ " (الشهاب القضاعي، 1986، 2/223)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: " إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَمَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ

بِالنَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلَوْا مَعَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ، وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ" (البجلي، 1412هـ، 2/219).

ولما كنّا في المجتمع الفلسطيني أحوج ما نكون إلى تطبيق مفاهيم العمل التطوعي قولاً وعملاً، بسبب حاجات هذا المجتمع، وتشعب مشاكله، والتي تقتضي ضرورة حشد طاقات الأفراد والتجمعات المختلفة من أجل تنمية المجتمع الفلسطيني، ورفع قدرات ومهارات شبابه، وتعميق منظومة القيم السامية في نفوس أبنائه، انطلاقاً من مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، فقد ارتأى الباحثان القيام بهذه الدراسة من أجل إبراز دور الإسلام في تنمية ثقافة التطوع، باعتبارها أحد أهم أبواب التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-، ونيل الأجر والثواب، وكذلك من أجل تعميق قيم التسامح، والتكافل، والمحبة، والوحدة، والإيثار، والتعاون في المجتمع الفلسطيني، والتي تشكل حصناً مانعاً أمام كل ما يواجهه أبنائنا من تحديات؛ سياسية، وثقافية، واجتماعية، وسوف يتناول الباحثان في هذه الدراسة العمل التطوعي من منظور إسلامي، مُستخدِمين المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك ضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم العمل التطوعي.

المبحث الثاني: مكانة العمل التطوعي في نصوص القرآن والسنة.

المبحث الثالث: أهمية العمل التطوعي في الإسلام.

المبحث الرابع: مجالات العمل التطوعي في الإسلام.

المبحث الخامس: دور المؤسسات التربوية في نشر ثقافة التطوع في المجتمع الإسلامي.

المبحث السادس: نماذج تطبيقية للعمل التطوعي في الإسلام.

: :

ورد في لسان العرب قول ابن منظور: تطوَّع: تفعل، من الطاعة، وهو ما تبرَّع به الإنسان من ذات نفسه، مما لا يلزمه فرضه. وجاء في المعجم الوجيز: "تطوَّع للشيء: زاوله اختياراً" وفي مختار الصحاح: "التطوُّع بالشيء: التبرُّع به". وفي معجم مقاييس اللغة: "والعرب تقول: تطوَّع: أي تكلف استطاعته، وأما قولهم في التبرُّع بالشيء: قد تطوَّع به، أي انقاد مع خير أحبَّ أن يفعله، ولا يقال هذا إلا في أبواب الخير، والمطوَّعة: الذين يتطوَّعون للجهاد". (ابن منظور، 1414هـ، 243/8). و(مجمع اللغة العربية، 1994، ص 397). و(الرازي، 1999، ص 193)، و(ابن فارس، 1979، 431/3)، و(المصعبي، 2007، 7) و(لافي، 2009) و(زينو، 2007).

: :

يُطلق التطوُّع في المنظور الشرعي على الأعمال والعبادات التي يحبُّها الشرع، من دون أن يعتبرها فرضاً واجباً على المكلف، وهي النوافل والمستحبات، قال الله -تعالى-: "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" [البقرة/184]: أي من زاد على المقدار الواجب. والتطوُّع يعني أيضاً: بذل الجهد والمال والوقت أو الممتلكات، بنية احتساب الثواب عند الله -عز وجل- مع توقع الأجر في الآخرة، والشكر في الدنيا. (المصعبي، 2007). ويفيد (الخطيب، 2010) أن التطوُّع يُسمَّى نفلًا، وناقلة، ويُجمع على نوافل، والنفلُ الزيادة، وسمَّيت النوافلُ في العبادات، لأنها زائدة على الفرائض، مصداقاً لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث القدسي: "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ" (البخاري، 1422هـ، 105/8). وعلى ضوء ذلك يُعرَّف العمل التطوُّعي من المنظور الإسلامي بأنه: "المشاركة المباشرة والمعاشية والشعور العاطفي بما يقع على الآخرين من ضرر والمساهمة برفع حالة الوعي، ابتغاءً لمرضاة الله -عز وجل- وسعيًا لإصلاح أمر الدنيا (المصعبي، 2007، 7). وقد عرَّف برنامج الأمم المتحدة العمل التطوُّعي بأنه: "عمل غير ربحي لا يُقدِّم نظير أجر معلوم وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة عامة" (حسن، 2001).

وأما العمل التطوُّعي من وجهة نظر الباحثين الاجتماعيين، فقد عرَّفته (عاطف، 2009) بأنه: "الجهد الذي يبذله الفرد من أجل مجتمعه، أو من أجل مؤسسة، أو من أجل جماعة معينة، دون توقع جزاء مادي مقابل جهده، سواء أكان هذا الجهد مبذولاً بالنفس أو المال عن طيب خاطر في سبيل سعادة الآخرين". وأشار (كردي، 2011) إلى أن البعض قد عرِّفه بأنه: "الجهد الذي يبذله أيُّ لمجمعه بلا مقابل، بدافع منه للإسهام في تحمُّل مسؤوليات المؤسسة الاجتماعية، التي تعمل على تقدُّم

الرفاهية الإنسانية، وعلى أساس الفرص التي تنتهي لمشاركة المواطن في أعمال هذه المؤسسات الديمقراطية، باعتبارها ميزةً يتمتع بها المجتمع، وأن المشاركة تعهدٌ يلتزمون به".

أما (المرواني، 2012)، فقد عرفه بأنه: "التبرع بالجهد والوقت أو الاثنين معاً للقيام بعمل أو أنشطة لخدمة المجتمع ليس مطالباً به الفرد أو مسؤولاً عنه ابتداءً بدافع غير مادي، ولا يأمل المتطوع الحصول على مردود مادي من جراء تطوعه، حتى وإن كان هناك بعض المزايا المادية، فهي لا تعادل الجهد والوقت المبذول في العمل التطوعي، والمتطوع هو الفرد القائم بذلك التبرع أي الفاعل للأنشطة".

ويعرفه الباحثان بأنه: "كل جهد أو عمل أو مال أو علم، أو وقت، يقدمه الفرد بنية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى - دون أن يكون مفروضاً عليه، ودون انتظار أجر دنيوي".

يعتبر العمل التطوعي في الإسلام أحد الركائز الأساسية في توطيد علاقة الفرد المسلم بأخيه المسلم، أو علاقة المسلم ببيئته، وقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على تشجيع العمل التطوعي والدعوة له في كافة المحافل والمجالات، بحيث يتحقق مفهوم التكافل، والتعاون، والمحبة، وتكون جميع القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية ومتحدة في تنمية المجتمع، والحفاظ على مصالح الناس (المصعبي، 2007).

وتظهر مكانة العمل التطوعي جليةً واضحة من خلال دعوة الإسلام إلى التطوع ومساعدة الآخرين، والتعاون وبذل المال، ووعد فاعل ذلك بالأجر العظيم مصداقاً لقول الله -تعالى-: "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" [البقرة/184]، وحثه أيضاً على فعل الخيرات، مصداقاً لقول الله -تعالى-: "وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [الحج/77] (الغامدي، 2008). وسوف يتناول الباحثان هذا المبحث مكانة العمل التطوعي في نصوص القرآن والسنة من خلال المطلبين التاليين:

1- لقد حثَّ الإسلام الإنسان المسلم على تقديم كل ما يستطيع في سبيل تحقيق الأجر والثواب، وبما فيه منفعة الفرد في الدنيا والآخرة، مصداقاً لقول الله -تعالى-: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [آل عمران/ 133، 134]، وقوله -تعالى-: "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" [البقرة/148].

2- أُلْحِقَ التَطَوُّعَ بِالْفَرِيضَةِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ التَطَوُّعَ زِيَادَةٌ عَلَى الْفَرِيضَةِ، وَهَذَا مَا يُعْطَى الْعَمَلَ التَطَوُّعِيَّ أَهْمِيَّةَ خَاصَّةً، لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" [البقرة/184].

3- جَعَلَ الْعَمَلَ التَطَوُّعِيَّ مَنَاحًا لِتَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ وَالتَّعَاوُنِ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ [المائدة/2].

4- وَعَدَّ الْمَتَطَوِّعِينَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالتَّمَكِينِ وَالأَمْنِ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: "وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا" [النور/55]، وَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [البقرة/261]، وَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ" [الحديد/11].

5- التَّأَكِيدُ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ التَطَوُّعِيَّ فِيهِ مَنَفْعَةٌ لِلذَّاتِ، وَأَنَّ عَلَى الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ تَقْدِيمَ الْعَوْنِ لِلآخَرِينَ، تَحْصِيلًا لِرِضَا اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَنَيْلِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ: " وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" [الذاريات/19]، وَقَالَ -تَعَالَى- مُتَحَدِّثًا عَنِ الْبِرِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ: " وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ" [البقرة/177].

6- خَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ الْمَبَادِرِينَ إِلَى الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ التَطَوُّعِيِّ بِأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [الواقعة/10، 11].

7- طَلَبَ الْقُرْآنُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْسَنَ لِلآخَرِينَ، مُقَابِلَ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: " وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [القصاص/77].

8- اعْتَبَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ مَسَاعِدَةَ الْآخَرِينَ وَالْوُقُوفَ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي مَحَبَّتِهِمْ تَأَكِيدًا لِمَبَادِيءِ إِسْلَامِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، أَهْمُهَا مَبْدَأُ الْأُخُوَّةِ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات/10]، ثُمَّ مَبْدَأُ الْإِيثَارِ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" [الحشر/9]. إِضَافَةً لِمَبْدَأِ التَّكَافُلِ، وَالإِحْسَاسِ بِحَاجَاتِ الْآخَرِينَ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِهِ الْإِنْسَانِ/8، 9].

-:

حَثَّتْ الْعِدِيدُ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَالإِحْسَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْوَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي مَبَادِرَاتِهِ وَحَثَّتْهُ، وَتَأَكِيدُهُ عَلَى الْإِسْتِجَابَةِ لِنِدَائَاتِ الْمَلْهُوفِينَ، وَالمُظْلَمِينَ، وَالمُحْتَاجِينَ، كَمَا رَبَّى أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَبَادِرَةِ إِلَى التَطَوُّعِ فِي كَافَةِ

مجالات الحياة، فضربوا أروع الأمثلة في مواقف كثيرة، فنهضت الأمة، وازدهرت حضارتها في مشارق الأرض ومغاربها (الغامدي، 2008).

وتتأكد مكانة العمل التطوعي في السنة النبوية من خلال:

- 1- التأكيد على الاهتمام بشؤون المسلمين أينما كانوا أو حلوا، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ" (الطبراني في الأوسط، د، ت 270/7).
- 2- بيان موقع المبادرين والمتطوعين مع الآخرين، بأنهم يتقدمون على من سواهم بفضل أعمالهم، مصداقاً لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ" (الشهاب القضاعي، 1986، 223/2)، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ بِالنَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلَوْا مَعَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ، وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ" (البجلي، 1412هـ، 219/2).
- 3- الدعوة إلى المبادرة وتلبية النداء لنصرة الآخرين، فقد ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعْذِ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ زَادَ، فَلْيُعْذِ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ" (ابن حبان، 1988، 238/12).
- 4- بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- فضل العمل التطوعي الإنساني مهما كان حجمه، حتى وإن قل، فإن لصاحبه أجراً عظيماً في الآخرة، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "الْإِيمَانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعُظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ" (أحمد في المسند، 2001، 15/212-213).
- 5- اعتبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسلمين أخوة مترابطين متحابين متحدين، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى" (أحمد في المسند، 2001، 323/30)، وهذا تأكيد على ضرورة الإحساس بالآخرين، والمبادرة إلى مساعدتهم، والتعاون معهم، باعتبار ذلك مبدأ إنسانياً إسلامياً لا حياد عنه، لأنه يشكل ضماناً لتحقيق الأخوة الصادقة.
- 6- أكد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أن أي عمل إنساني مجالاته مفتوحة وواسعة أمام المسلم، من أجل تفريج كرب الآخرين والتخفيف عنهم، والسعي على مصالح وحاجات المحتاجين، لما في ذلك من فضل في الدنيا والآخرة، وقد ورد في ذلك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ عِتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ" (الطبراني في الأوسط، د، ت، 221/7)، وقال أيضاً: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (البخاري، 1422هـ، 128/2). وقال -صلى الله عليه وسلم-: " مَنْ فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سِتْرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (الطبراني في مكارم الأخلاق، 1989، ص342).

7- أكد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على ضرورة السعي في مجالات الخير والتطوع، وتقديم العون للمحتاجين، فقد قال -عليه السلام-: "السَّاعِي عَلَى الْأُرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ قَالَ: كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ" (البخاري، 1422هـ، 9/8).

8- اعتبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- التطوع مبادرة ذاتية، يستجيب من خلالها الفرد المسلم لطاعة الله ورسوله، عندما يرى أنه عمل ما يُقدِّم خدمةً للمسلمين، انسجاماً مع قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (البخاري، 1422هـ، 103/3)، وقال أيضاً: "إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أُولَئِكَ الْأَمْنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (الشهاب القضاة، 1986، 117/2).

وعلى ضوء ما تقدم، وانطلاقاً مما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، فإن العمل التطوعي يعدُّ من القضايا المهمّة في الفكر الإسلامي، بل إنه قد يصبح واجباً في بعض المواقف، وعندما يستدعي الأمر التدخل السريع ودون تردد، ومنها حالات الإنقاذ، والحالات التي يتعذر فيها وصول الخدمة إلى الفرد بشكل سريع، ولذلك يجب أن تكون رغبة الإنسان المسلم في التطوع قائمة على حبِّ الازدياد من عمل الخير والحرص عليه أكثر مما هو مطلوب منه أو واجب عليه -أحياناً- لإرضاء الله -سبحانه وتعالى-.

يشكل العمل التطوعي في الفكر الإنساني أحد الروافد الأساسية للنهوض بالمجتمع، وتحقيق التنمية الشاملة، من خلال مشاركة الأفراد في الجهود المبذولة للتخفيف من معاناة الناس، ومدِّ جسور التواصل مع المجتمعات الخارجية، ضمن الدوائر الأوسع، بغية تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، كما أنه يشكل أحد مقومات مساندة الجهد الحكومي في مختلف المجالات، ويعطي مؤشرات صادقة عن مستوى شعور الأفراد في المجتمع بالمواطنة، وقدرتهم على التعاون، والإحساس بالمسؤولية، والولاء، للدين والجماعة (كردي، 2011).

وكلما تقدم المجتمع وتعقدت علاقاته الاجتماعية والإنسانية، فإن الحاجة للعمل التطوعي سواء كان فردياً أو مؤسسياً تزداد، لكي يشكل أبرز سمات الترابط، والتآلف الاجتماعي، لتحقيق التماسك، والتعاون، والمحبة، خصوصاً وأن المشاركة في العمل التطوعي تؤدي إلى شعور الفرد بقيمته وبدوره، مما يولد لديه شعوراً قوياً بالرضا الذاتي والكفاءة (الغامدي، 2008).

ويمكن إبراز أهمية العمل التطوعي في الإسلام من خلال النقاط الأساسية التالية: (المرواني، 2012) و (المصعبي، 2007) و (زينو، 2007).

1- نيل الأجر العظيم من الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة، وفتح أبواب الرحمة، وتيسير الحياة في الدنيا، وهذا تأكيد لقول الله - تعالى -: "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" [البقرة/184]، وقوله أيضاً: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" [الزلزلة/7]، وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوِّءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ" (الطبراني في الأوسط، د، ت، 163/6)، وقوله أيضاً: "مَنْ فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (الطبراني في مكارم الأخلاق، 1989، ص342).

2- تحقيق مبادئ الترابط والتعاون والتآلف بين المسلمين، مصداقاً لقول الله - تعالى -: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات/10]، وقوله: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة/2]. كذلك فإن الأعمال التطوعية بما تحمله من فضائل أكدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ" (البخاري، 1422هـ، 128/2). وقال - صلى الله عليه وسلم - واصفاً تآلف المسلمين ومساندتهم لبعضهم البعض: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، نَدَّاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَىٰ" (أحمد في المسند، 2001، 323/30).

3- يُعطي صورة مشرقة عن رسالة الإسلام وطبائع المسلمين وممارساتهم، مما يجعل الآخرين من غير المسلمين يشعرون بعظمة الإسلام وإنسانيته وعدالته، وهذا تأكيد لرسالة الإسلام الخالدة، التي جاءت للناس جميعاً قال الله - تعالى -: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [الأنبياء/107].

4- تحقيق مبدأ التكافل والإيثار، انطلاقاً من قول الله - تعالى -: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" [الذاريات/19] وقوله - تعالى -: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا" [الإنسان/8]، وقوله - تعالى - أيضاً: "وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر/9]. كما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكد على هذا المبدأ قائلاً: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا"

وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى. (البخاري، 1422هـ، 9/8) وقال -صلى الله عليه وسلم-:  
" السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (البخاري، 1422هـ، 9/8).

5- تحسين مستوى الأمن الاقتصادي والاجتماعي للأفراد، لأن العمل التطوعي يسهم في سد حاجات الناس، وفتح آفاق للاستثمار الاقتصادي، وإنشاء المشاريع الخيرية، التي تشكل رافداً اقتصادياً للفئات المحرومة والمهمشة، كما يشعرها بالأمان، قال الله -تعالى-: " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " [البقرة/261]. وقال -تعالى-: " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق/2، 3]، وقد أكد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ذلك بقوله: " في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ " (البخاري، 1422هـ، 112/3)، وقال: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (البخاري، 1422هـ، 12/1)، وقال أيضاً: " إِنْ مِمَّا اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَرَبِيبَتِهَا... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلُوٌّ خَضِرٍ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَيَعْمَ صَاحِبُ الْمَالِ مَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ وَابْنُ السَّبِيلِ " (البيهقي في شعب الإيمان، 2003، 509/12).

6- تزكية النفس البشرية وتطهيرها، وتحقيق الشعور بالرضا والطمأنينة، وذلك انسجاماً مع قول الله -سبحانه وتعالى-: " وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا [المزمل/20]، وقوله -تعالى-: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النحل/97]. وقوله -تعالى-: " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة/274]، وقوله أيضاً: " وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْفِنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا [النور/55].

7- تنمية مشاعر الإحساس بالآخرين، مصداقاً لقول الله -تعالى-: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات/10]، وقوله أيضاً: " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " [البقرة: 274]، وقال -صلى الله عليه وسلم- مؤكداً على ذلك: " مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ " (الطبراني في الأوسط، د، ت 270/7)، وقال أيضاً: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " (صحيح البخاري، 1422هـ، 103/1)، وأكد على حق الناس على الناس حيث قال -صلى الله عليه وسلم- حاثاً على الاهتمام بالجار: " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ " (البخاري، 1422هـ، 10/8).

8- استثمار أوقات الفراغ في الأعمال النافعة، فالعمل التطوعي يُسهم في استثمار أوقات فراغ الأفراد في أعمال تعود عليهم بالمنفعة والخير في الدنيا والآخرة، وتفتح أمامهم آفاقاً رحبة لتحمل المسؤولية والتعاون، وعلى كل فرد أن يسعى إلى استثمار وقت فراغه في أعمال تعود على أسرته ومجتمعه وأمته بالخير والفائدة، قال الله -تعالى-: "وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ [الصفات/24]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مبيناً أهمية الوقت في حياة المسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس: وذكر منها: وفرّ اغك قبل شغلك". (الحاكم، 1990، 341/4).

9- مشاركة الآخرين في المسؤولية والمساهمة في اتخاذ القرارات التي تهتم المجتمع والأمة، وقد أكد على هذا رب العزة في محكم التنزيل حيث قال -جل شأنه-: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة/2]، وقال أيضاً: "وَلَا تَتَّزَعَرُوا فَتَقْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" [الأنفال/46]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، (الترمذي، 1988، 36/4).

10- غرس روح المبادرة والتنافس بين أبناء المسلمين في عمل الخير، مصداقاً لقول الله -تعالى-: "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران/133]، وقال أيضاً: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [الواقعة/10، 11]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ" (صحيح مسلم، د، ت، 705/2)، وقال أيضاً: "خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ" (الشهاب القضاعي، 1986، 223/2).

يظهر مما تقدم أهمية العمل التطوعي في الإسلام، باعتباره أحد الصور الرائعة للمجتمع الإسلامي، والتي تنم عن عقيدة إنسانية سمحاء في نظرتها للبشر أياً كانوا، كما تتأكد ضرورة تميز المجتمع الإسلامي بهذه الأعمال، لأنها تؤلف بين قلوب الناس، وتحقق مبادئ رائعة، كانت ولا تزال وستبقى نبعاً لحضارة متميزة وقيم سامية.

يشكل العمل التطوعي -باعتباره ممارسة إنسانية- مساحة واسعة وغير محدودة أمام الراغبين والمهتمين بالتطوع، ولربما تختلف الأوقات والمجالات من مجتمع لآخر، ومن مرحلة إلى أخرى، تبعاً لظروف الأفراد والمجتمعات، والمتغيرات التي قد تحدث في المجتمع، نتيجة الظروف الطبيعية، أو الحروب والنكبات، أو انتشار الأمراض، أو الجهل، ويمكننا أن نوضح مجالات العمل التطوعي في المحاور التالية: (زينو، 2007)، و(أبو القمبز، 2007).

1- العبادات: فقد فتح الإسلام أمام الفرد المسلم باباً واسعاً للنوافل، بحيث تُضاف إلى العبادات للحصول على مزيد من الأجر والثواب، ولتزكية النفس، مصداقاً لقول الله -تعالى-: "إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" [البقرة: 158].

2- الدعوة إلى الله وخدمة الإسلام: وهذا باب مفتوح أمام الناس، من أجل رفعة هذا الدين، وتأكيد فضائله، وتحبيب الناس فيه، والتأكيد على تطبيق مبادئه، عملاً بقول الله -تعالى-: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [آل عمران: 110]، وقوله -تعالى-: "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [آل عمران: 104]، وفي هذا إشارة واضحة لدور المسلم تجاه دينه، ويندرج تحت هذا الإطار بناء المساجد، والقيام عليها، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا -قَالَ بَكِيرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ- بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ" (البخاري، 1422هـ، 97/1، 98). كذلك أشار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهمية رعاية المساجد، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ ذُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ - أَوْ قَالَ قَبْرِهَا - فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا" (البخاري، 1422هـ، 99/1).

3- التعليم: ويشمل ذلك كل أعمال الخير التي تصب في نشر العلم والمعرفة في المجتمع المسلم، سواء كان ذلك ببناء المدارس أو التعليم أو تقديم الخبرة والمشورة، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ عِلْمًا فَيَكْتُمُهُ، إِلَّا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ" (ابن ماجه، د، ت 96/1)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (مسلم، د، ت، 74/1)، وقال أيضاً: "مَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ، فَقَدْ خَانَهُ" (أحمد في المسند، 2001، 17/14).

4- الرعاية الاجتماعية: وتشمل رعاية المحتاجين، والأرامل، والأيتام، والمساكين، والمعوقين، مصداقاً لقول الله -تعالى-: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" [النساء: 36] وقوله -تعالى-: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" [الذاريات/19]، وقوله -تعالى-: "وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا" [الإنسان: 8، 9]، وفي هذا المجال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابِيَّةِ وَالْوُسْطَى. (البخاري، 1422هـ، 9/8)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (البخاري، 1422هـ، 9/8)، وقال -صلى الله عليه وسلم-:

" إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: وَذَكَرَ مِنْهَا: وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمَعُ الْأَصْمَ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُدَلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَعِيثِ، وَتَحْمَلُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعِيكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ" (ابن حَبَّان، 1988، (8/171).

5- الصحة ورعاية المرضى: ويشمل هذا المجال بناء المستشفيات، وتقديم الأدوية، والرعاية الصحية، وزيادة المرضى، والتخفيف عنهم. وهذه الأعمال هي من أبواب الخير وهي مستحبة عند الله -سبحانه وتعالى- لأن فيها تضافر جهود الناس وتعاونهم، وتأكيداً لحبهم، وتألفهم، وشعورهم بالمصلحة العامة، وانطلاقاً من هذه المبادئ فقد قال الله -تعالى-: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: 133]، وقال أيضاً: "وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً" [المزمل: 20]. وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طَيْبَتْ، وَطَابَ مَمْسَاكَ، وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنزَلاً" (ابن ماجة، د، ت، 1/464).

6- الحفاظ على البيئة وحمايتها وحرص الأشجار وإمطة الأذى عن الطريق: وفي كل مكان قد يكون مصدراً لإيذاء الناس وإعاقة حياتهم، أو تعكير صفوها، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ" (ابن حَبَّان، 1988، (8/171)، وقال أيضاً: "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ؛ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ"، (الخرائطي، 1999، ص 157). وأكد -صلى الله عليه وسلم- على أهمية غرس الأشجار قائلاً: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (البخاري، 1422هـ، 3/103).

7- الإغاثة الطارئة: فحين تتعرض بلاد المسلمين للحروب أو النكبات أو الكوارث، فإن المسلمين مطالبون بالنجدة، والنخوة، والإسراع في تقديم العون والمساعدة للمحتاجين، عملاً بقول الله -تعالى-: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" [الحجرات: 10]، وقوله: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [آل عمران: 133]، وقوله أيضاً: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ" [الواقعة: 10، 11]، وفي هذا الصدد فقد حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على تفريج كرب الناس بقوله: "مَنْ فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (الطبراني في مكارم الأخلاق، 1989، ص 342).

8- إصلاح ذات البين بين الناس، وهذا أحد المجالات التي وعد الله القائمين عليها بأجر عظيم، وحث على المبادرة لها، مصداقاً لقوله -تعالى-: "فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ" [الحجرات: 10]، وقوله أيضاً: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً" [النساء: 114].

يظهر مما تقدم أن أبواب العمل التطوعي مشرعة أمام كل الراغبين في التقرب إلى الله، وأن جميع مجالات الحياة زاخرة بالفرص، التي تتيح للمسلمين المبادرة إلى التطوع، استجابة لله ولرسوله، وذلك مصداقاً لقول الله -تعالى-: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" [الأنفال: 24]، وتلبية لنداء نبيه في الإقبال على أعمال الخير والتطوع، حيث قال -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ" (الطبراني في الأوسط، د، ت، 221/7)، وهذه المفاضلة تأتي من باب الترغيب لنيل الأجر والثواب.

إن تحقيق التنمية والنهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحاضر لا يمكن أن يسند إلى الجهود الحكومية فقط، خصوصاً وأن هذه الحكومات -سواء في الدول النامية أو المتقدمة- لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، بسبب تعقد أنماط الحياة، والتغيرات المستمرة عليها، ومن هنا تنبع أهمية العمل التطوعي، باعتباره غايةً ووسيلةً وضروريةً وطنية، يجب أن يدفعها كل مواطن لمجتمعه (الضاني، 2012).

وعلى ضوء ذلك، فإن المؤسسات التربوية ينبغي أن تكون صاحبة الدور الأهم في تنشيط العمل التطوعي، من خلال المناهج الدراسية، والأنشطة الطلابية والكشفية، والأنشطة البيئية، والثقافية، والاجتماعية، ولما كانت التربية الإسلامية رائدة في هذا المجال، فإن الضرورة تقتضي ربط العمل التطوعي بمبادئ ديننا الحنيف، وتشجيع المتطوعين، وغرس مكارم الأخلاق لديهم، ودعم قدراتهم النفسية والاجتماعية والثقافية، باعتبار العمل التطوعي ترقية وتهذيب للنفس، وتكريس قيم المحبة، والتكافل، والتعاون، والأخوة بين الناس (الكندري، 2012).

ولعل أهم الحقائق المسلم بها في المجتمعات الإسلامية، أن جميع جوانب حياة أفراد المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والقيم الأخلاقية والروحية جميعها كل متكامل لا يتجزأ، وهذه الحقيقة تتبع من حقيقة الإسلام، بأنه نظام شامل، وأن الفرد هو الخلية الحيّة للمجتمع، وعلى عاتقه تقع مسؤوليات فردية وجماعية، وعلى رأسها العمل التطوعي، والذي تنتسج مجالاته وحدوده (أبو القمبز، 2007).

لذلك فإن دور المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية ابتداءً من الأسرة والمدرسة والمسجد والجامعة، وانتهاءً بمؤسسات المجتمع المدني، جميعها مكلفة بأداء دورها تجاه تنمية وتكريس ثقافة التطوع في المجتمع، وفيما يلي سيتناول الباحثان دور كل منها باختصار.

أولاً: دور الأسرة: ينبغي أن تُكرّس الأسرة الإسلامية في تنشئتها الاجتماعية اهتمامها على زرع مفهوم التطوع قولاً وعملاً، وغرس قيم التضحية، والإيثار، والعمل الجماعي في نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم، وأن يشكل أولياء الأمور قدوةً لأبنائهم، فالأسرة لها دور كبير ومؤثر في المجتمع، وهي بيئة التشكيل الأولى لشخصية الطفل، وتحديد مسارات سلوكه (لافي، 2009)، لذلك فإن مسؤولية الوالدين تتطلب غرس قيم التطوع في نفوس أبنائهم، عملاً بقول الله -تعالى-: "وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ" [الصافات: 24]، وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (البخاري، 1422هـ، 5/2).

ثانياً: دور المدرسة: ينبغي التسليم بأهمية دور المدرسة في المراحل التعليمية المختلفة، باعتبارها مؤسسة تربية اجتماعية، تقوم على تكوين وتربية الناشئين، كما أنها تمثل مساحة التقاء بين أعداد كبيرة من الطلاب، مما يوفر مناخاً لبناء شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية، ولذلك ينبغي أن توجه المدرسة اهتماماتها -ومن خلال فلسفة التعليم والسياسة التعليمية- إلى غرس القيم النبيلة المستمدة من الشريعة الإسلامية، والمتمثلة في التعاون، والأخوة، والتسامح، والتكافل، والنصرة، وعمل الخير. (الغامدي، 1429هـ).

لذلك يتوجب أن تُراعى موضوعات العمل التطوعي في مدارسنا من خلال (الغامدي، 1429هـ) و(لافي، 2009).

أ- ادماج ثقافة العمل التطوعي في مناهجنا الدراسية، وضمن مقررات التربية الإسلامية، والتربية المدنية.

ب- أن يشكل المعلمون والقادة التربويون قدوةً للطلاب في المبادرة والمشاركة في الأعمال التطوعية. ت- ضرورة وضع جداول لأنشطة العمل التطوعي، تقوم على تنفيذها المدارس في المجتمع، من خلال أعمال حماية البيئة، زراعة الأشجار، أعمال النظافة...إلخ.

ث- ضرورة تقديم الحوافز التشجيعية للطلاب المتميزين في الأعمال التطوعية.

ثالثاً: دور الجامعات: لقد لعبت الجامعات الفلسطينية دوراً أساسياً ومهماً في تكريس مفهوم العمل التطوعي لدى الشباب في مراحل متعددة، وظروف مختلفة، واليوم فإن الجامعات ينبغي أن تكون عوامل تأثير مباشر على حالة المجتمع، لذلك فإن دورها يتطلب:

أ- ادماج مقرر العمل التطوعي ضمن الخطط الدراسية لجميع التخصصات.

ب- اعتماد أنشطة تطوعية موسمية، تتابعها إدارات الجامعات.

ت- إنشاء مجتمعات تطوعية وتدريبها لمختلف الاحتياجات، سواء في مجال التعليم، أو الصحة، أو الخدمات الاجتماعية، أو الزراعية... إلخ.

ث- أن تقوم مجالس الطلاب بمبادرات جماعية بالتعاون مع المجالس الطلابية في الجامعات الأخرى للعمل التطوعي على مستوى الوطن.

ج- تعميم ثقافة التطوع في المجتمع، وتعميق القيم الإسلامية النبيلة، القائمة على التعاون، والتكافل، والأخوة، والإيثار، استناداً إلى مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة.

رابعاً: دور المسجد: إن للمسجد مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي، وهذا يأتي من خلال كونه مؤسسة تربوية دينية، اتخذ منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكاناً لتعليم أصحابه، ولنشر الدعوة، ولطرح القرارات الجماعية، ولذلك فإن وظيفة المسجد لا تقتصر على العبادة فحسب، وإنما تتعداها إلى التعليم، وتهذيب النفس، والتوجيه، والإرشاد، وغرس قيم التعاون، ونبذ الأنانية، ولذلك فإن الوعظ وأئمة المساجد، أن يبادروا إلى شرح ثقافة التطوع، والحث عليها، والمبادرة إلى الأعمال التطوعية، عملاً بقول الله -تعالى-: "وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" [التوبة: 105]، وقوله -تعالى-: "كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" [الصف: 3]، كذلك ينبغي إنشاء لجان تطوعية في المساجد، وأن يكون المسجد مكاناً لتطوع الدعوة، والمرشدين، والوعاظ، من خلال تنظيم الدورات التدريبية والتعليمية، لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" (البخاري، 1422هـ، 6/192). (لافي، 2009).

لا يختلف اثنان حول أهمية العمل التطوعي منذ القدم وحتى يومنا هذا، وأكثر ما تغير عبر الزمن هو ما يتصل بالمجال أو الطريق، وقد كان العرب سبّاقين في هذا المجال، ومع بزوغ فجر الإسلام كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو وأصحابه سبّاقين إلى العطاء، والتطوع، والتضحية في سبيل الله، فما أن كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يدعوهم حتى يبادروا ويسارعوا إلى التنفيذ، استجابة لله ولرسوله، وهناك العديد من المواقف التطبيقية لمفهوم العمل التطوعي في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعهد الخلفاء الراشدين، ومن أبرز هذه المواقف ما يلي: (المصعبي، 2007)، و(الخطيب، 2010).

1- مشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بناء الكعبة، من حديث أبي الطفيل -رضي الله عنه- قال: "كَانَتْ الْكَعْبَةُ مَبْنِيَّةً بِالرِّضْمِ -الصَّخُورِ- لَيْسَ فِيهَا مَدْرٌ، وَكَانَتْ غَيْرَ مُسَقَّفَةٍ، إِنَّمَا كَانَ يُوَضَعُ ثِيَابٌ عَلَيْهَا يُسَدُّ سَدًّا وَكَانَ الرُّكْنُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًّا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ الْحَلْقَةِ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَهَدَمْتَهَا فُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، وَكَانَتْ فُرَيْشٌ تَحْمِلُهَا عَلَى رِقَابِهَا، فَفَرَعُوهُ فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ نَرَاعًا، وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَمَا هُوَ يَحْمِلُ حِجَارَةَ إِذْ سَقَطَ الْحَجَرُ وَضَاقَتِ النَّمْرَةُ عَلَيْهِ، فَذَهَبَ يَضَعُهَا فَبَدَأَ عَوْرَتَهُ مِنْ صِغْرِ النَّمْرَةِ، فَنُودِيَ: يَا

مُحَمَّدٌ، خَمْرٌ عَوْرَتِكَ، وَكَانَ بَيْنَ بُنْيَانِهَا وَبَيْنَ مَا أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً" (عبد الرزاق، 1403هـ، 101/5).

2- مشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في وضع الحجر الأسود في مكانه وحسم الخلاف بين القبائل حول حمله ووضعه. فقد روي عن خالد بن عررة قال: فَلَمَّا بَلَغُوا قَرِيشَ - مَوْضِعَ الْحَجَرِ اِخْتَلَفُوا فِي وَضْعِهِ فَقَالُوا: أَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ مِنَ الْبَابِ، فَطَلَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالُوا: قَدْ طَلَعَ الْأَمِينُ، فَبَسَطَ ثَوْبًا، وَوَضَعَ الْحَجَرَ وَسَطَهُ، وَأَمَرَ بَطُونَ قَرِيشٍ، فَأَخَذَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْهُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، وَوَضَعَهُ بِيَدِهِ" (ابن الحارث، 462/1).

3- مشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بناء المسجد، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- متحدثاً عن بناء المسجد قال: كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَحْمِلُ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ، قَالَ: فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: يَا عَمَّارُ أَلَا تَحْمِلُ لَبْنَةً كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: وَيَحْ عَمَّارُ تَقْتَلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ" (أحمد في المسند، 2001، 368/18)، وكان الصحابة يرتجزون وهم يشاركون في البناء، ويقولون: "لَنْ نَقْدِنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ، لَذَلِكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ. وَارْتَجَزَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَبْنُونَهُ كَذَلِكَ بِالْقَوْلِ: لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ. (ابن كثير، 2/ 306).

4- نزول النبي -صلى الله عليه وسلم- على قبر ذي الجاديين ومشاركته في دفنه، فقد جاء في المعجم الأوسط للطبراني، 52/9، قوله: "حَدَّثَنَا مَسْعُودَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، تَنَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، تَنَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، تَنَّا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْجَادِيَيْنِ الَّذِي هَلَكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَنَّهُ هَلَكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حُفْرَتِهِ، وَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: أَدْلِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا، فَلَمَّا وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي لَحْدِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي رَاضٍ عَنْهُ، فَارْضَ عَنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي صَاحِبُ الْحُفْرَةِ".

5- من أروع صور ومواقف التضحية والفاء والإخاء والمحبة والإيثار المؤاخاة التي قام عليها الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، ففاسموهم أموالهم، ودورهم، ومتاعهم (ابن هشام، 1955، 504 وما بعدها).

6- وروي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا أَبْقَيْتَ لَأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لَأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لِمَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا" (الترمذي، 1988، 614/5 - 615).

7- ومن المواقف التطبيقية للعمل التطوعي في عهد الخلفاء الراشدين: تطوُّع الخليفة أبي بكر الصديق لحلب أغنام جوارى الحي، فقد كان -رضي الله عنه- يَحْلُبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ، فَلَمَّا بُوِيعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الْآنَ لَا تُحْلَبُ لَنَا مَنَايِحَ دَارِنَا، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: بَلَى لِعَمْرِي لِأَحْلُبَنَّهَا لَكُمْ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُغَيِّرُنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ، فَكَانَ يَحْلُبُ لَهُمْ. (ابن سعد، 1990، 3/ 138-139).

8- ومن ذلك أيضاً تطوُّع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وزوجته أم كلثوم بنت علي -رضي الله عنه- في مساعدة امرأة في المخاض، فقد كان -رضي الله عنه- يتفقَد رعيته ليلاً ونهاراً، فإذا بببيت شعر ينبعث منه أنين امرأة، وعلى بابهِ رجل جالس، فسَلَّمَ عليه عمر وسأله من هو؟ فأجابهُ بأنه رجل من البادية جاء يصيب من فضل الله، وسأل الرجل عن الأنين الصادر من بيته، فأجابهُ أن زوجته على وشك الولادة، فذهب عمر إلى منزله، وأشار إلى زوجته فأنتت معه تحمل ما يحتاجه المولود والأم، ودخلت على المرأة، فولدت المرأة غلاماً، فأطعم عمر الرجل من الطعام الذي أعده، وأعطى زوجته فأطعمت المرأة، وقال للرجل: غداً تأتينا فنأمر لك بما يصلحك، فلما أتاه، أعطاه وفرض لابنه (الطبري، د، ت، 390/2).

استناداً إلى ما تقدم بيانه حول موضوع "العمل التطوعي من منظور إسلامي" خلصت الدراسة إلى النتائج الأساسية التالية:

1- إن العمل التطوعي يعد أحد ركائز بناء وتمتية المجتمع الإسلامي، كما أنه يمثل مناخاً مناسباً لتوطيد علاقات المسلمين فيما بينهم، وإن المتطوعين موعودون بأجر عظيم من الله - سبحانه وتعالى-، كما أنهم يتقدمون على من سواهم من الناس، وإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو قدوة المسلمين في هذا المجال.

2- يشكل العمل التطوعي مظهراً من مظاهر التكافل، والتعاون، والرّحمة، والإيثار، والمبادرة، وإخلاص النية لله -تعالى-، وإن ممارسته تنعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع على حد سواء، كما أنه يعطي صورة مشرقة عن الإسلام وطبائع المسلمين، ويعتبر أحد الممارسات الهادفة إلى تزكية النفس وتطهيرها، ويعمل على غرس روح التنافس بين أبناء المسلمين لأعمال الخير.

3- إن العمل التطوعي في الإسلام مفتوح النهاية، ولا يتوقف عند مجال محدد، بل إنه يشمل عدة مجالات تخص الفرد، والمجتمع، والأمة بكاملها، وإن كان هناك اختلاف فهو في حجمه، أو شكله، أو وقته، تبعاً للظروف والمتغيرات، إلا أنه أكثر ما يكون في مجالات التعليم، والرعاية، الاجتماعية، والصحة، وحماية البيئة، والإغاثة الطارئة، وإصلاح ذات البين بين الناس.

4- إن المؤسسات التربوية المختلفة تلعب الدور الأهم في تعميق ثقافة التطوع، والمبادرة إلى تنشيطه في المجتمع، من خلال المناهج الدراسية، والأنشطة الطلابية الاجتماعية والثقافية، كما أن الأسرة مطالبة بتعميق ثقافة التطوع، وغرس مبادئ التضحية، والإيثار، والعمل الجماعي في نفوس أبنائها، منذ نعومة أظفارهم.

5- هناك العديد من المواقف التطوعية التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مبادراً لها، ومنها بناء المساجد، وأعمال الخير الأخرى المتعددة، حيث كان -صلى الله عليه وسلم- يمثل القدوة للأمة في هذا المجال، وكذلك كان الخلفاء الراشدون سبّاقين إلى الأعمال التطوعية في خدمة الأسر، والأفراد، والمجتمعات، وخير شاهد على ذلك مبادراتهم في مختلف مجالات الحياة.

- تلك هي أبرز النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة والتي عززت التوصيات التالية:
- 1- أن تبادر كافة المؤسسات التربوية على اختلاف مجالاتها إلى تعميم ثقافة التطوع عبر المناهج الدراسية، والأنشطة الطلابية والمجتمعية، ووسائل الإعلام، والأسرة، باعتبار التطوع مظهراً للالتزام الفرد بدينه، وقيمه، ومسؤولياته تجاه نفسه، وتجاه الآخرين.
  - 2- العمل على تشجيع المؤسسات الاجتماعية المختلفة على استقطاب الشباب في برامجها التطوعية، مع الحرص على تنظيم تلك البرامج بشكل يُيسر العمل الجماعي والمشاركة الفعالة في تلك البرامج.
  - 3- العمل على تنظيم الورش والمؤتمرات واللقاءات الشبابية، التي تُعزّز من حشد طاقات الشباب ورعاية إبداعاتهم، وتوجيهها توجيهاً مثمراً وبنّاءاً لخدمة المجتمع.
  - 4- تنويع مجالات العمل التطوعي من قبل المؤسسات العاملة في المجتمع، بحيث تشمل الرعاية الاجتماعية، والصحة، والتعليم، والبيئة، ... إلخ.
  - 5- تسهيل إجراءات تنظيم البرامج التطوعية من خلال كافة مؤسسات المجتمع، في حالات الطوارئ، والمواسم المختلفة.
  - 6- ربط قيم المجتمع الإسلامية بالممارسة الواقعية، وعلى رأسها قيم التعاون، والتسامح، والإيثار، والمبادرة، والأخوة.
  - 7- الحفاظ على تواصل مستمر بين كافة المؤسسات التطوعية، والتجمعات الشبابية، في العالم العربي والإسلامي، وذلك ضمن إطار شبكة من التعاون لصالح أبناء الأمة.

انتهى

\*- القرآن الكريم.

- 1- الأتصاري، خالد محمد، (2012)، مفهوم العمل التطوعي وأهميته وأهدافه.  
<http://www.medadcenter.com/article/show.aspxid=317>
- 2- البجلي، تمام بن محمد، (1412هـ-)، الفوائد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط1، مكتبة الرشد، الرياض.
- 3- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ-)، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت.
- 4- البيهقي، أحمد بن الحسين، (2003)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- 5- الترمذي، محمد بن عيسى، (1988)، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، (د، ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 6- ابن الحارث، الحارث بن محمد، (1992)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيره النبوية - المدينة المنورة.
- 7- الحاكم، محمد بن عبد الله، (1990)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 8- ابن حبان، محمد بن حبان، (1988)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 9- حسن، إبراهيم، (2001)، العمل التطوعي من منظور عالي.  
<http://www.saaaid.net/anshatah/dole/62.htm>
- 10- ابن حنبل، أحمد بن محمد، (2001)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 11- الخرائطي، محمد بن جعفر، (1999)، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، ط1، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- 12- الخطيب، عبد الله عبد الحميد، (2006)، العمل الجماعي التطوعي، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
- 13- الخطيب، محمد علي، (2010)، مفهوم العمل التطوعي ومكانته في الكتاب والسنة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

- 14- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، (1999)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت - صيدا.
- 15- زينو، رنده محمد، (2007)، العمل التطوعي في السنة النبوية، دراسة موضوعية. رسالة ماجستير منشورة. الجامعة الإسلامية -كلية أصول الدين، غزة- فلسطين.
- 16- ابن سعد، محمد بن سعد، (1990)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 17- الشهاب، محمد بن سلامة، (1986)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 18- الصفار، حسن، (2007)، العمل التطوعي في خدمة المجتمع، ط3، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - المملكة العربية السعودية.
- 19- الضاني، شيرين، (2012)، الشباب الجامعي والعمل الاجتماعي التطوعي في فلسطين.  
<http://www.alhewar.org/debat/show.art.asp?aid=316305>
- 20- الطبراني، سليمان بن أحمد، (د، ت)، المعجم الأوسط، طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (د، ط)، دار الحرمين، القاهرة.
- 21- الطبراني، سليمان بن أحمد، (1989)، مكارم الأخلاق، (مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا) كتب هوامشه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 22- الطبري، أحمد بن عبد الله، (محب الدين)، (د، ت)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 23- عاطف، سهير علي، (2009) أهمية العمل التطوعي، مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية.  
[www.shebacss.com](http://www.shebacss.com)
- 24- عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام، (1403هـ)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي- الهند.
- 25- عبد السلام، مصطفى، (2010)، الشباب والعمل التطوعي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532 وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- 26- العيد، جعفر محمد، (2001)، دور المؤسسات الأهلية في رفع مستوى العمل التطوعي خليجياً.  
<http://www.saaaid.net/anshatah/dole/34.htm>
- 27- الغامدي، عبد العزيز بن محمد مسفر، (2008)، العمل الاجتماعي التطوعي من منظور التربية الإسلامية وتطبيقاته في المدرسة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة.

- 28- ابن فارس، أحمد بن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د، ط)، دار الفكر، بيروت.
- 29- فرحات، أحمد نبيل، (2008)، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع.  
<http://www.hrdiscussion.com.hr2943.htm1>
- 30- أبو القمبز، محمد هشام، (2007)، جدد شبابك بالتطوع، منشورات صيد الفوائد، [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)
- 31- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1976)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (د، ط)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 32- كردي، أحمد السيد، (2011)، مفهوم العمل التطوعي وأهميته وأهدافه.  
<http://www.arabvolunteering.org/corner/aut42680.htm1>
- 33- الكندري، لطيفة، (2012) التعليم والعمل التطوعي، [www.alphanews1.com](http://www.alphanews1.com)
- 34- لافي، إحسان محمد علي، (2009)، العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان.
- 35- ابن ماجة، محمد بن يزيد، (د، ت)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د، ط)، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- 36- مجمع اللغة العربية، (1994)، المعجم الوجيز، (د، ط)، وزارة التربية والتعليم، مصر.
- 37- المرواني، نايف محمد، (2012)، العمل التطوعي، أشكاله وتطبيقاته، رؤية اجتماعية أمنية.  
<http://www.google-kpasjqmopgj.ds>
- 38- مسلم، مسلم بن الحجاج، (د، ت)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د، ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 39- المصعبي، عبد الملك منصور، (2007)، آليات تفعيل العمل التطوعي مع عرض للقضايا وأهم المجالات.  
<http://mansourdialogue.org>
- 40- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت.